النهار
٦ أيار ١٩٩٧

معرض الفنانة كريستين كفوري جبور في صالة ستاسيون دي زارت

جواءات طقوسية، وإشراقات حالمة

ثلاث وخمسون لوحة فنية بمقاسات كبيرة، متوسطة وصغيرة، وبالوان الإكليريك والحبر، والمواد المختلفة، محتوى معرض الفنانة كريستين كفوري جبور، الذي افتتح في صالة ستاسيون دي زارت في الثاني والعشرين من نيسان، ويستمر حتى الثلاثين منه، وفيه تجربة تعبيرية تجريدية، وطقوسية دينية، ورؤيا إشراقة. مارست من خلالها الفنانة الفيض والبحران في جواءات رومانسية حالمة، وفي بحران شرقي، بين التكايا والمعابد، والمحاريب والمنابر، داخل المقامات التي ترفل بالحواشي والزخارف، والأضواء والظلال والإيحاءات النورانية سواء لجهة الطنافس والتكايا، والمساجد والسجاجيد والبسط، والأواني والستائر، والمحفورات والأقواس والمقرنصات، وتيجان الأعمدة المزهرة، المتشجرة، وجهة الألوان الواقعية والمسحورة، والتي تحيل الى كرنفالات حافلة حاشدة، بالدعة والسكينة، والهمس، والتبتل والضراعة، وكان الفنانة متخصصة بجماليات الأماكن تلك، وكانها اجتذبتها الى دخيلة روحها، وتساكنتها، واستوطنت فيها، وتالفت وانصهرت وتواشجت معها، واغتبقتها وتشربتها واعتنقتها، وتعاشقت فيها، حتى جاءت على تلك السوية، من الجمال والجلال، والكريستالية التي تبث الأضواء والاشراقات والظلال، وكان ما بين الأضواء والظلال نوع من نوازع الاحتراب، وتقاذف الشهب والنيازك كما واخراج البروق والرعود، والشرقطة الكهربية، ونوعا من التجاذب والمغنطة التي تاسر المشاهد وتدهشه، وتمتصه الى عراء اللوحات والى حشدها الشكلي واللوني، والزخرفي، مع سيادة للنورانية الشفيفة الرهيفة، التي تبعد اللوحة عن التناقض السلبي وتستنهضها الى جهة تفاعل عناصرها الإيجابي والفني...

قلت ان عوالم الفنانة التشكيلية مسحورة وساحرة، وكانها تمزج المكان الديني بما تخلف لنا من مقامات الأولياء، وفضاءات المسجد، وعمارته الداخلية وهي تترك للكتابة مراحا ومهادا تتلاعب فيها، وكانها تستذكر الحروفية، وحركتها الحيوية، وجمالياتها الرؤوم. اضافة الى عبق العطور والبخور، وأماكن الشعوذة وابتداع الرقى والتعاويذ، وربما الطلاسم والنذر، والأحجبة، وكانها قادمة من القصور الرافلة بكل الأشياء الجمالية، مع استخدام للأرابسك، والزجاج الملون او المعشق، ثم أنها انفلتت في فضاءات الف ليلة وليلة، وكانها تحدس بطقوسية وعوالم النساء الجوانية او الباطنية، وهي كانها شهرزاد الف لوحة ولوحة، تتحايل على أنوارها الفنية في الأشفاق والاغساق، وتستحوذ عليها، وتبثها في مناخات حلمية، وكانها ترى رؤيا. ولها الأهلة والأقواس المتوترة، والهندسات البطليموسية، وهندسات ريمان، او الهندسات الفراغية، وكانها مشغوفة بديكورات عجائبية غرائبية مدهشة، تتبناها، في صياغاتها التشكيلية، الداخلية والخارجية معا، وهي تسخر عجائن الألوان وتفتح شهيتها على الغواية والفتنة، وتبحث في كيمواياتها واشتقاقاتها، وتحيل هذا الجو الأرضي الذي يلتبس بواقعيته، الى تعبيرات صادية صارخة، مضطرمة لاستعار الأصفر والأحمر، ولجهة هبوب العناصر دفعة واحدة في لوحتها، من صلودة وقتامة التراب الى شفافية وسيولة الماء، الى الق مرئي، واثيرية الهواء، الى الق

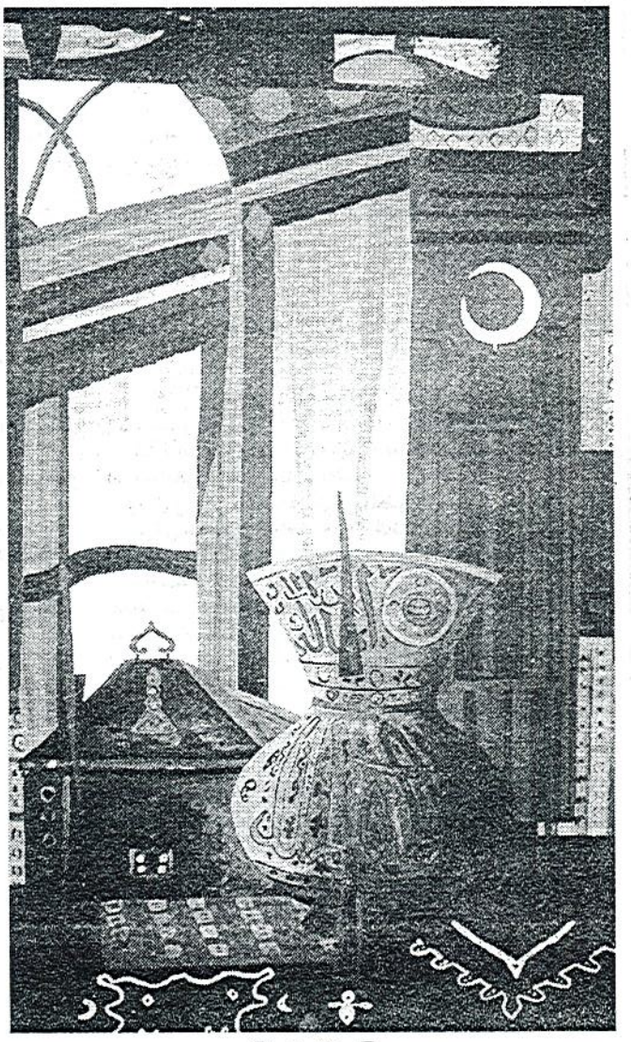

□ من المعرض □

وتوهج وسطوع النار، وسواء جاءت هذه العناصر التكوينية من وعيها أو لا وعيها، فهي محمولة في لوحتها تدركها وتتداركها بالإشراقات اللونية المحتدمة الحميمة، الحامية، الحانية، الحادبة التي تنطوي وتنجون، وتتجوى في دخيلتها وتندلق في فضاء نصها التشكيلي، على شكل بزوغ عارم، يجعل هذا النص في مرمى البصر والبصيرة، والتامل، وفي مقامات الموسيقى الشرقية حيث في احدى لوحاتها الكمان الذي يجود الصوت كما تجود الفنانة الألوان من سرير الموسيقى، وبين الأضواء والظلال المبرمة على الأشياء والأشكال يصدح القرار والجواب والإيقاع، ويتجلى الهارموني ايضا في المسافة المساحة، وفي الزمن الفجري، او الغروبي، حيث الفنانة على عزيف ريح، وعصفها، وعلى عزيف ملائك وجن، وعلى طقوس موحى بها كالمولويات، او الأهازيج والأناشيد الدينية الشجية التي تنبعث باستقواء الأضواء والظلال من مكنون لوحاتها، ومن لا مرئياتها، ومن الشعاعات النابهة التي تتوارد وتتوارى، وكانها الصوت والصدى والصمت، او انها مدوية محمحمة، صاهلة، مجلجلة، مصلصلة، في الشهيق والزفير واللهاث، ولوحاتها الملونة، او التي بالأبيض والأسود، عبارة عن احوال ومقامات نفسية نفسية، استطاعت الفنانة ترصيعها، ونمنمتها، وزخرفتها وترقيشها ونقشها وتخزيفها، ونسجها وتفخيرها «الأواني» كما استطاعت كتابتها، بلغتها الخاصة، وأبجديتها التكوينية، المحمولة على استراباتها، وقلقها، وشكها، ومثولها، ورفضها، على إيمانها وزعزعته، على الحلم، واستدرار حليب الحلم، وحيثياته القصية النائية المغيبة المتروكة والمنسية، تقنصها الفنانة، وتودعها لوحتها حتى تصير هذه اللوحة التي تبوح بعناصر الخارج المكونة على غير طبيعتها، مراتها الداخلية التي تستقرىء فيها وتتمرأى، بما تكابد وتعاني، من أحوال وأفراح وأحزان، من رهبة، وناسوتية، ولاهوتية، ومن الغامض الذي يسود في الفضاء، طمعا في رحمة السماء، وفي الغفران، وكان أعمالها صكوك غفران غير مقصودة، تتوخى من خلالها التبريك والنعمة والطوبى، وتتوخى الخلاص، والفوز بالفردوس، بدل الجحيم الذي يثير رعبها، كما لو أن لوحاتها، اقنعة تتوارى فيها، وتكن في طياتها وثناياها خوفها من الموت.

وأعمالها، حشد من التناص مع الفن العربي الاسلامي، ومع شبهاته البيزنطية، لكنه تناص قوي، ماخوذ من ينابيعه، دفعة واحدة، او مما تخلف في روح الفنانة وجسدها من تصورات، وفانتازيا الطفولة التي افتقدتها، وهي تتغذى من مخزونها، وتخصب لوحاتها، وتمارس ترويتها بالألوان حتى لو كانت معمارية فإن الفنانة، تؤنسنها بمشاعرها التي تغدقها وتسرفها فيها، بل تحيلها الى انوثة، ورقة وعذوبة، وتخترها، وتخمرها، في معجن أنوارها الباطنية، ثم تندلق فيها لتمحو وتمسح عنها القسوة، والركاكة والرتابة، بل وتحاول لأم شقوقها وصدوعها، وتسعى الى تشريح العتمة بمباضع الضوء الملتمعة، بل وتخلف على جسد العتمة والقتامة، الكثير من جراحات الضوء التي لا تندمل، بل تتواشج وتشتجر مع ما حولها، وتلتئم وتلتحم، وتلتغم بما يجاورها، وتخفف من التضاد الحاد القائم بين العتمة والضوء وبين الظلال والأنوار الساجية الشجية، إنها تتفرد بسعتها وسديمها، وتنجمع وتتوحد بضيقها ونقاطها، وخطوطها التكوينية، كما الحروفية من النقطة الى القوس ونصف الدائرة، الى المستقيم الأفقي والعمودي، الى الدائرة والتلولب والتحلزن، الى المستطيلات والمربعات، والأبواب، والنوافذ، والمشهديات التي تنطوي الى الداخل، او تنبلج في الخارج، وتندلع حرائقها اللونية القزحية، وما بين الوان قوس قزح الحارة، والساخنة، وما بين الألوان الفاترة والباردة، صلة قربى، ونسب، ودم وسلالة وأرومة كما بينها حوارات، وأسئلة وأدوار ووصلات، ومقاطع، ومرئيات تحتفي الفنانة فيها، وتحتفل بمدائحها اللونية.

وفي نصها التشكيلي بفضاءاته وملاءآته، اختبار واختمار، وترغيد وترغيب، ونوازع حلمية، وفيه جواءات عاشقة واقتران وافتراق، وكانه يرتكز على الخمائر اللونية، وعلى فيوضاتها المكنونة المكنوزة في الأماكن، سواء لجهة تشويقها، او تشريقها، وحتى طرائق الحيوات المعقودة، في اللوحات لها انزياحاتها الواقعية، والخيالية، والخيال التشكيلي هنا فائر موتور، يجمع ما لا يجتمع، ويزحم اللوحات، بالإيحاءات والدلالات، والرموز، والأسرار الجمالية التي تجاهد الفنانة لترجمتها، واستجلاء حقيقتها، واوهامها. وكانها تودع المكان، رغائبها المدومة الموسومة بالدوار والدعاء، او انها تتشهى هذه الأماكن، وتنفح فيها من غرائزها، وخرافات طفولتها، ومن الأساطير والأحافير التي ترسبت في قيعانها، فيما للمكان الجماليات التي تفيض وتفيض، وكانه محتبل بها، ويستولدها مترائية، او دفعة واحدة، او كانه يكاد ينفجر بما يحتوي عليه، ويتبعثر ويتشظى.

والحقيقة أن العمارة التي تشكلها وتكونها، يمكن أن تكون عمارة الجسد والروح والحلم، مكنى عنها بالعمارة الشرقية، او عمارة الإيمان، والأروقة التي يمارس فيها التنجيم «الالخيمي» وأسطورة تحويل المعادن الى ذهب، والشموس لا تغادر جسدها، ولا تغادر عمائرها والإشراقات الروحية في السريرة وفي الفضاء، وفي المذابح والمنابر والأسرار، التي تستعار لقول الصمت والدمدمات، والهمس، والهجس وما لا يقال، في تلك المواقف، من مشاعر ومخاطبات محمولة على اجنحة الألوان، وعلى انغامها وهسيسها الناري، وكان الفنانة هي المستوطنة الأولى والمليكة في ملكوت لوحاتها، تبدا اللوحة ولا تنتهي فيها، وتبدا الحلم والمراودات المحمولة على عريها، والمزاحة الى مرايا، والى فراغات، او المذابة في نورانيات مشغوفة بكشح العتمات والخطايا، وتطهير النفس، واستعادة البراءة المفقودة، والفراديس المنسية.

إن تجربة الفنانة التي لم تغوها المرجعيات الفنية الغربية، ذات عصب فني أصيل، وملوانة غنية، ثرة ووفيرة، ومرشحة للتاسيس والترسيخ، وحية وحيوية، وخالية من صنمية الإستشراق، وإشراقية في الرؤيا والزمن، وفي تحقيب الأماكن المخصصة للذات، وخلوات النفس، والمكاشفات والأسرار، والاعترافات والصلوات، وضمن هذه العمائر النورانية والديجورية تتجلى روحها الفنية التواقة الى التحرر والانعتاق، والى الغيمومة والغيبوبة، في الأعمار والمصائر والأقدار، وربما الإصطلاء والاصطلام بالنار.

زهير غانم